

نفحات القرآن

[357] فيستحلّونه ؟ فقلت : بلى ، قال : ذلك عبادتهم " (1). وبهذا يتّضح أنّ اتّباع وإطاعة أشخاص يأمرّون على خلاف حكم الله يكون لوناً من الشرك . * * * الآية العاشرة والأخيرة تخاطب جميع البشر : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (وَ أَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) . ومن المسلمّ به أنّّه لا أحد يعبد الشيطان بمعنى الركوع والسجود والصلاة والصيام ، فما هي العبادة التي نهى عنها ؟ هل هو شيء غير الإطاعة ؟ أجل ، إنّهم حينما يستسلمون لما يريده الشيطان ويقدرّون أمره على أمر الله فإنّهم مشركون وعبداد الشيطان والشرك هنا بمعنى إطاعة الأمر لا الركوع والسجود . أين أخذ الله تعالى هذا العهد من بني آدم ؟ فسّرّه البعض بأنّه (عالم الدرّ) وفسّرّه بعض أنّّه وصايا الأنبياء لأقوامهم ، ولكن الظاهر أنّ الآية تشير إلى الوصايا التي تشبه العهد الذي كان الله تعالى عند هبوط آدم مع أولاده إلى الأرض ، وقد قامت الآية (27) من سورة الأعراف بتبيان ذلك : (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ) . وهكذا في الآية (22) من هذه السورة ، وفيها تخاطب آدم وزوجته بقولها (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) . والآية (117) من سورة طه تخاطب آدم (عليه السلام) (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ) . ومن المسلمّ به أنّ مثل هذا العدو يكون عدواً لأبنائه أيضاً ، لأنّ مخالفته _____ 1 - تفسير روح المعاني : 10/75 وورد هذا المعنى في تفاسير متعدّدة أخرى منها تفسير الدر المنثور بفارق طفيف .